الفأر الصغير
باولو

أيانو كوجي

. " ما يمنعك من التقدم هو ما تخاف أن يكون سببا في فشلك "
إن أخطر أنواع الجهل ليس الجهل بالعلم أو الدين أو العالم إنه الجهل بالنفس"

الفأر الصغير باولو

مقدمة

قبل كل شيء لابد أن تفهم أن الإنسان في محور ذاته يمتلك خصائص و مميزات تجعله قادرا على سيادة نفسه و التلاعب بمحيطه . هذه القصة القصيرة ستحاور مكنوناتك الداخلية بطريق. لطيفة كما هي أرجل الفئران الصغيرة .
أيانو كوجي -

" الفأر الصغير " باولو

يقال في إحدى المدن الصغيرة في أقصى جنوب البلاد ، يوجد هناك حي فقير مشوه الشكل ، موحل الطرقات و مداخله متشعبة . ينبعث من الحي ضجيج رهيب تمتزج فيه صرخات الأطفال الصغار بعويل النساء و صخب السوق المحلي . كان صوتا لا يطاق إن سمعته للوهلة الأولى ، رغم ذلك فهاهو هذا الشخص يمر منه دون أن ينبص بكلمة و دون أن يبدي أي إنفعال أو تفاعل مع ما يحدث حوله من لغط . يبدو شابا عشرينيا بائس المنظر ، طويل القامة ، عريض المنكبيين . و قد أتفق له أنه لا يحب الحديث و لا تستهويه مناقشة الاسعار الجنونية للقمح او الهبوط الصاروخي للعملة . بل كل ما يشغل باله هو اللحظة التي يطئ عتبة منزله الصغير و يجلس الى مكتبه ، ثم يسترخي متأوها من صداع الضهر الذي يؤرقه و يلازمه منذ حين . و على ذكر منزله فهو ذلك الباب الأحمر رقم أربعة و ثمانين بالقرب من تلك المخبزة العتيقة ، فيه توجد والدته " خياطة الدرب " و والده الحاج العاطل عن العمل ، لقد إعتاد الحاج على الاتكاء قرب حانوت صديقه عمر ولد البشير ، الذي لم يكن يصقل من الحديث عن أيامه في العسكر ، حيت يحدث بها في كل فرصة تحين له رغم أنه يعلم أن ما من أحد يصدقه ، كما يعلم أن الجميع قد انتابهم الملل من قصصه المتكررة .

أما بطلنا فهم يدخل البيت و يلقى التحية على ابويه ، ثم يلج غرفته المعروف عنها صغرها ، غرفة فوضوية كأنما إعصارا مر منها ، تتناثر فيها قطع الملابس العطنة ذات الرائحة الذكورية الحارزة .. توقف الفتى لبرهة يتفقد ما حوله ، لحظات يتبين فيها طريقه نحو مكتبه بين ركامات الملابس و مخلفات الاكل المتبعثرة في أرجاء المكان . ثم ها هو يجلس إلى

كرسيه المعوق بإنكسارات يقومها ربما بأسلاك حديدية صدئة ، انشغل قليلا في حاسوبه المتواضع غير آبه بالحر و الجوع الذي يتملكه و يقض مضجعه ، فقد تناسى كل ذلك و هو يركز في أمور لا تعنينا .. و في غمرة كل ذلك دخلت والدته الخياطة الغرفة ، مطلقة العنان لكمية أسطورية من التذمر و الشكوى ، على قلة اهتمامه و بلاغة إهماله لم يكن الفتى يجيب بل يأخذ منها صينية الطعام التي بيدها فيعود لاهفا إلى ما يفعله في شاشة حاسوبه . كانت كلما صرخت و تذمرت منه تتذكر أنه بلا نفس حارة و لا يقر فيه سماع السباب و النقير ، فتروح مستسلمة إلى خارج معقل هذا المخلوق الجاف . تنصل الفتى للثوان من واجباته الحاسوبية ، و تراجع الى الخلف بالكرسي راكنا رأسه الى الخلف ، ثم أطلق زفيرا إنهزاميا طويلا و مسموعا . كأنه فشل في كل ما كان يعمل به في كل لحظات التركيز الطويلة على الحاسوب . هل فشلت محادثة أم فشل مشروع ، لربما كان هناك خطب بالانترنت ، لا احد يعلم . و لكن ما نعلمه أنه بعد موجة الزفير المزعج ، ألقى الفتى يده ناحية الصينية يتناول خبزا شعيرا ساخنا . أحس بحرارته ، و عزم على أخذ كأس الشاي بالنعناع في اليد الاخرى غير أنه في لحظة استراق نظر إلى الصينية ، ترائ له كيان متانهي في الصغر ، يكتسيه فرو ناعم يمزج بين الأبيض الحليبي و البني الكستنائي ، يمتلك مقلتين لامعتين كأنهما جوهرتان غجريتان ، دون أن يغفل عن ملاحظة أصابع يديه الصغيرة اللطيفة ، يمسك بينها قطعة صغيرة من الخبز الشعيري الساخن . و تملكت الفتى ملايين الأفكار حول ما قد يفعله بهذا الكائن الصغير الضعيف ، لكنه قبل أن يحرك شيئا في جسمه تناهت الى مسامع الفأر الصغير إنذرات الخطر و انطبقت أذناه على حنكه ، و في خفة صاروخية وثب من المكتب و توارى عن الأنظار في جبال الملابس المتسخة . كل ما مر من مشهد أشعل سخرية لاذعة في داخل الفتى المحبط ، و صار يضحك بزهو على كل شيئ يراه من حوله ، مر بعينيه في غرفته القذرة و اشمئز أشد اشمئزاز من .. وضعه البائس المثير للشفقة

في اليوم التالي ، لم يسمح أنين الوالدة التي تخمل البيت متذمرة " لا سمح الله .. ما هذا البلاء .. ما فعلت يا سيدي يا ربي حتى أصرفق بجثتين قدرتين لا يحسن أحدهما شيئا سوى النوم و التغوط .. أنظرو إلى أولاد الناس صاحية في أبكر الصباح .. ما لي بها عيشة يا ربي .. لا سمح الله " . كان كل هذا النواح و التضرع المنرفز يسمع على طبول أذني الفتى العبوس ، لكنه في كل عادتاه لا يجيب ، فهو على تمام الدراية أن أكبر خطأ يقترفه هو مناقشة والدته المهتاجة ، فتزيد تذمرا في تذمر و نواحا في نواح ، و لا يخرسها سوى تعبها من التكلم و الصراخ . كما كان يعلم كم تحبه و ترعاه ، على الرغم من طباعها الصعبة ، فقد كانت غير ذلك حنونة و متفهمة و ذات قدر كبير من الرعاية والاهتمام ، و إنه يعلم يقينا أن كل اهتياجها

ناجم عن رغبتها في كل خير لولدها الكسول و الخجول .. مع ذلك فالحق يقال ، فإن الفتى كان قافزا و ذكيا جدا ، يعرف أصول الحديث في المواضيع الكبيرة و المتشعبة . و له سجل نظيف و مشرف في مدرسته .. غير أن مشكلته العظمى إن صح التعبير هي خجله و إنزوائه في أركان نفسه . دون أن نغفل كسله و قلة حركته ..

تحرك الفتى في بطئ نحو الحمام . فرك رأسه بتعب و حطه على الحائط ، جسده بارد و الحائط ساخن . إستفاق يتحارب مع شعرات من شعره المعقد المجعد ، و من تحت عينيه الأراضي السوداء المكسوة بالسهر و الكأبة . غسل وجهه المليئ بكل شيء غير الملامح . تنهد يتبين محياه . راح للمطبخ و جلس عند الموقع يسخن الماء ، يشتم رائحة أنفاسه العنفة الصباحية . و هذا عنده مهم أكثر من أي حاجة اخرى . بعد القهوة حان وقت الدراسة . تمسك حقيبته اليدوية ، و توجه بخطوات متثاقلة نحو الضباب و الصباح لم ينقشع بعد .

بعد ساعات عاد الفتى إلى البيت تعلوه علامات للتعب و الإحباط ، دلف غرفته و أقفل الباب تمام الاقفال ، و تأكد من أنه محكم جيدا ، ثم مضى ينزع ملابسه بعصبية و يرميها على كومة الثياب السابقة بعنف ، لقد كان الشرار يتطاير من عينيه . يبدو أنه قد مر بيوم عصيب جدا . و بعد أن أنهكه الغضب و الغل . إرتمى منهارا على الكرسي المعوق الذي يكاد يبكي من شدة التعوجات و التكسرات في جوانبه ، غطس الفتى رأسه داخل يديه و فكر لدقائق دون أن يحرك ساكنا ، لا شيئ يسمع في غرفته إلا صوت صغير قادم من مكتبه المقابل له ، رفع رأسه و هو ينظر إلى بقايا الطعام من الليلة السابقة و في منتصفها ذلك للمخلوق الصغير غزير الفرو ، تسمر الفتى يمعن النظر فيه ، و هو يقتات على الخبز الحافي القاس و يشرب من جرة الحليب القريبة إليه ، ثم قال له معاتبا " انت هناك .. من أعطاك الإذن لتأكل من طعام الأخرين ، أين هي أخلاقك " ، توقف الفأر عن الحركة و رفع أذنيه يستشعر مكان الصوت ، لم يقدم على حركة لكنه إتخد هيئة يبدو فيها على استعداد للفرار في أية لحظة . عاد الفتى للكلام قائلا " ويحك أيها المخلوق الهزيل . ما بك ترمقني بتلك الطريقة ؟ هل تشفق على حالي انت ايضا ؟ " لم تبد أية إستجابة من الفأر . فتوهم الفتى أنه يستمع له . و في عالم خيالي خلقه داخل مخليته برز الفأر مثل شخص يرتدي معطف فرو رمادي ، قبعة صغيرة بيضاء بها خطوط برتقالية ، و هو يجلس بجانبه ، و قد قدر الفتى أن إسم الشخص كان إيطاليا مثل " باولو " . و هو ما كان له ، فقد حدثَ الفأر مخبرا إياه إسمه الجديد " باولو " ، و اعتبر عدم الاجابة من جانبه هو قبول و رضا بكلامه ، بل و تخيل أنه مسرور جدا بإسمه الجديد .. أرخى رأسه الى الخلف و توسد الحائط ، نظر الى السقف الخشبي ، إسترق النظر الى الفأر و ألفاه يعود الى الأكل من

الخبز ، قال مسترخيا بطريقة حزينة " بصحتك .. بصحتك .. اسمعني يا صديقي . مازال الكائن البشري يدهشني بأفعاله و إنفعلاته . خصوصا في هذا المجتمع الغريب و الغير قابل للقياس أو التوقع . ستصاب بالعياء النفسي و انا تحاول فهمه و ستجد نفسك لم تفهم شيئا . و من ثم تحاول أن تسقط عليه كل ما تعلمت له في العلوم الفكرية و الفزيائية ، و تجده " خارج عن السياق " بهذه العبارة .. " نظر مرة أخرى إلى " باولو " و أردف شارحا " أنني لا أعلم كيف أشرح لك ما أحاول قوله ، لكن إني أعيش في سقم و عذاب . كل هذه الضغوطات . ألا تظن أنه من المؤلم كونك أنت هو ذلك الانسان المعول عليه من طرف الكثير من الناس .. كي يحقق الكثير من الأمور . كلهم يضعون فيك آمالا و أحلاما لكل واحد منهم ، و أنت بكامل وعيك عارف كم هاد الحمل ثقيل جدا على إنسان مثلك . من كثرة الهزات النفسية التي تعاني منها ، في كل خطوة تزيدها للأمام تلبية لهاته الطموحات الخاصة بأشخاص آخرين . أشخاص فشلوا في تحقيقها فقدموا بك إلى هذا العالم لكي تعوض فشلهم . و في حال ما فشلت حتى أنت ، غالبا سوف تخلف من يحاول تحقيق أحلام و آمال لم تقدر أنت على تحقيقها .. دعني أخبرك بشيئ . في إحدى المرات كنت جالسا مع أبي ووكان يتحدث عن مستقلبي و حياتي . ماذا يمكن أن اصبح و بدأ يرسم في طريق من الاحداث و الإنجازات في آخرها سوف أجد ما يفترض أنها السعادة . بقيت أتسمُع تلك الكلمات و أقسم بكل ما أؤمن به أنني لم أتخيل نفسي أفعل كل ذلك . بل تخيلت نسخة مصغرة منه ، هي من تحقق في كل ما كان يقول لي ... " توقف الفتى عن الكلام بسبب نقر على الباب .. عاود النظر و وجد أن " بابلو " قد رحل . ربما يكون رحل منذ زمن لكنه لم يلحض . فتح الباب و دلفت أمه ، ثاب إلى رشده و أدرك أنه لا يرتدي ثيابا سوى ما يستر عورته . لكنه لم يحتشم و لم يستحيي منها و تابع إلى مقعده مائلا إلى أسفل-اليمين ، محاولا تشغيل حاسوبه . كانت الخياطة هادئة على غير عادتها ، فكلما دخلت الغرفة أمطرته عتابا و نقيرا . غير أنها اليوم لم تتفوه بشيئ سوى كلمات حنونة دافئة " هل أنت جائع يا بني ؟ " . إرتشع صدر الفتى الهزيل العار ، و امتلئت مقلاتاه بالدموع ، لكنه تمالك نفسه و أومئ بالإيجاب . خرجت الوالدة متجهة نحو المطبخ تعد لإبنها طعاما يفترسه ، لقد إنتابه شعور بالذنب كيف كان يحدث الفأر عن والده .. لكنه ما لبث . أن استعاد رشده ، و انهمك في همه اليومي في الحاسوب

بعد مضي اسبوع كامل من ذلك اليوم ، و ككل يوم دراسي حافل ، عاد الفتى إلى البيت متعبا و عصافير معدته تزقزق ، إرتمى على الأريكة في بهو البيت . ظل لمدة من الزمن مجندلا هناك حتى خف ألم ضهره ، فقام إلى غرفته التي كانت ما تزال كما عهدناها ، توقف قليلا يرصد مسارا بين الملابس و الدفاتر ، عندها تبين له صديقه الفأر الصغير " باولو " قادما كأنه

علم بحضوره و جاء يلقي التحية عليه . يذكر أنه خلال الاسبوع الماضي ، واضب الفتى على إطعام الفأر و تربيته ، و صار يعنتني به كثيرا و يحدثه عن مغامراته اليومية التافهة ، و لعجب الأمر أن الفأر كان ينصت دون حراك و دون أصوات ، بل في بعض الاحيان كان يركز عينيه الصغيرتين على صديقيه الفتى ، كأنه يمده بإهتمامه الكامل أثناء حديثه ، و لفرط تعلقه به كان قد حفظ عن ظهر قلب مساره داخل الغرفة ، و قد وجد حجره الصغير خلف إحدى الاكياس الإسفنجية التي تخزنها الخياطة داخل غرفة إبنها . من ثم فإن الفأر تبدو عليه علامات التعود على هذا البشري و كيف لا و هو يشركه طعامه و يسقيه ماء . جلس أمام مكتبه تعبا و زاهقا ، ا
إقترب منه الفأر و تلمس يده الساخنة بفعل حرارة الظهيرة ، من ثم نطق الفتى يغالب إرهاقه " كيف حالك يا صديقي العزيز ؟! .. أأنت مرتاح البال ؟ أنني لست من الراحة بمكان . و ما لي منها عن قريب .. لقد وقعت في الحب . ما أدري ما أقوله .. أتلمس المعذرة منك كي أخبرك ما حصل لي هذا الصباح ، فهل انت موافق ؟ " واصل الفأر تشعبطه في إبهام الفتى الكبير نسبيا . فأردف هو قائلا " كان الوقت صباحا و الشمس الحارقة فوق الرؤوس . و العرق و الغيض في كل مكان . كنت أزحف على رجلي بالتعب ، و تقاسيم وجهي تدل على الإرهاق و الإنزعاج . تحركت قليلا و أنا ساه في انعكاسي حتى ضربت رجلي مع علامة (قف) . صرخت متألما و بدأت أسب و ألعن كل مقاليد الكون . جلست أزيل حذائي لأجد أن أحد أصابعي تنفخ . فبدأت أسب من جديد . و مشيت طوال الطريق أعرج إلى البيت .. بعدما عدت غيرت حذائي إلى نعال لأن إصبع قدمي قد تورم . و في دخلة المدرسة لم أتمكن من الولوج بسبب الجوقة و الفوضى أمامها . كانت تلك البنت - الواضح فيها أنها متعجرفة - تعيب بنت مسكينة من الغلابة لإنها ترتدي نعال كاشفة . و كانت تقول للمسؤول أمام الباب " أنظر إلى هذه الفضيحة .. هؤلاء ناس لا يحترمون كلية الفنون . يرتدون نعال البيت !! يا للخزي !! " .

كنت أراقب مشهد التنمر الحاصل أمامي . قلت في خاطري " أنا ما لي شأن في هكذا شيء " لكن من بعد ذلك أنزلت أنظاري نحو رجلي ، و تذكرت أنني أيضا أرتدي نعال في كلية الفنون ، سبب إصبعي المعطوب . في تلك اللحظة ، اللحظة التي عاودت النظر إلى المشهد إمامي . كانت كلمات تلك الفتاة المتعجرفة بدأت تستفزني و قبل أن أحس وجدتني أمامها أوجه لها الكلام .. و الله يشهد أني لست بخير المتكلم و لا جميل الخطاب و الصوت ، فقلت في نفاذ صبر " أ ممكن حيادك عن الطريق ؟ " .. بدأت الفتاة تطالعني من التحت إلى الأعلى ، فوجدتني أرتدي نعالا ، تماما مثل الفتاة الأخرى ، بدأت تضحك و تسخر مني .

رمقت العميد و الذي بائن فيه أنه لا حول ولا قوة له بهذه الفتاة ، و قلت مستفسرا في سخرية " و هل هناك قانون يمنع أبناء آدم من الدخول إلى الكلية بالنعال ؟ " تشبث العميد و نفى برأسه . أما أنا فقد استندت على هذا الاذن و شققت طريقي بين داك الجوقة . ثم أكملت طريقي نحو القسم .. لعلك تتسائل و هذا حقك كيف وقعت في الحب الذي تزعمه ؟ . أبشرك أنك تظن الفتاة المسكينة المغلوب على أمرها أسرت قلبي بخجلها و ما يليها من ترهات . لكن دعني أكمل لك يا عزيزي " باولو " و كن صبورا . فما هي إلا لحظات حتى لحقتي و أوقفتني . كانت ترمق فيّ بنظرات تحدي و عجرفة . يبدو أنها تعطيني إحساسا ، أننا لسنا في نفس المستوى . ولكني كنت شبه نعسان و آخر همي هو التصادع مع أحد . بقت تحملق فوجهي بحقد و غضب كبيرين . و مشت مبتعدة دون قول حتى كلمة ، راقبتها مبتعدة بغضبها و أنا أقول في نفسي " ما بالها ؟ " .. لقد علمت من بعد أنها إبنة عميد الكلية . رغم عجرفتها إلا أنها فائقة الجمال و حسناء محبوبه في الكلية ، و ما تلك النظرات إلا دليل على ثقتها العمياء في نفسها . قد أبدو مجنونا يا " باولو " لكني وقعت في حب كل هذا الخليط من الغل و الحسن و الثقة . " ثم استطرد الفتى متذكرا " وحي نسيت إطعامك ! ! "

مر شهر كامل على صداقة الانسان الفتى و الفأر " باولو " . و في كل مرة كان يعود فيها و معه قصص و مواقف يحكيها لصديقه الصغير ، شعر الفتى بأنه يتلقى اهتماما خاصا من صديقه الفأر الصغير ، حيث كان ينصت له ، و لا يتذمر من أحاديثه المسترسلة ، كذلك لا يعاتبه و لا يحكم عليها كلما أخطأ في أمر ، و كانت خيالاته تأخده في رحلات لا تنتهي مع الرجل ذو المعطف الرمادي المكسو فروا و القبعة البيضاء الصغيرة ، خيالات تتجلى له فيها مغامرات مع صديقه يحكي فيها عن أيامه و يتلقى النصح و الإرشاد من ذلك الشخص ، الذي إعتبره منبعا لرجاحة العقل و فنان في التعامل مع البشر ، و يخيل إليه أنه يتلقى الدروس في التواصل الاجتماعي و تحسين إنتاجه اللغوي منه ، دون أن يزيد من عنده معارف ، فحسب الفتى كان " باولو " فقط ينبهه إلى أمور هو على دراية بها من قديم ، كأنه ينفض الغبار عن كنز قديم و عتيق و هو شخصية الفتى الأصلية . ليس هذا فقط ، بل كان يحاوره في شتى أنواع المواضيع ، في العلوم ، في الفلسفة ، في الدين ، و حتى في الجنس و النساء . من المؤكد أن الفتى كان لهوفا ليتعلم أكثر و أكثر ، ليصل إلى إدراك أن بداخله إنسانا عظيما ملجوما بسلاسل حديدية ، و أنه بمعية صديقه " باولو " ، ذو معطف الفرو الرمادي و القبعة البيضاء الصغيرة ، سيتمكنان من تحريره . و تبادرت أولى علامات التغيير في الفتى سريعا ، حيت صار يستيقض باكرا و يخرج للركض مع طلوع الشمس ، بل أنه في بعض الاحيان يستيقض قبل والدته ، التي يمنعها من دخول غرفته أو محاولة تنظيفها ، طبعا خوفا من أن

تجد " باولو " و تقضي عليه ، و حرص على إغلاق الباب بإحكام . تواصلت عمليات ركضه في شوارع المدينة طويلا و بطريقة منتظمة . كل هذا لأن صديقه أخبره بضرورة الركض لتصفية الذهن و إنعاش القلب ، فإتخدها الفتى عادة و صار لا يستغني عنها ، و في الليل بدأ ينام باكرا . بعد أن كان يقضي ساعات الليل و هو يحملق في الحاسوب ، فلم تكن تأتي الساعة العاشرة مساءا إلا و هو مستغرق في نومه . دأب في اليوم على الدراسة و القراءة بلهف و كان يقرأ كثيرا في وقت فراغه ، فأصبح وقت إنشغاله قليلا ، لتختفي علامات السهر من تحت جفونه ، و تنضب بشرته حيوية و تضهر تقاسيم وجهه الأسمر الحسنة و البارزة .

كان شعوره بالتغيير ، شيئ خارقا في السعادة بالنسبة له ، و كلما تذكر كم أضاع من الوقت معوجا إلى حاسوبه تضايق و نفض غبار الذكريات ، و شرع يقرأ الكتب و الروايات . كان حبه للقراءة يتنامى يوم بعد يوم ، فأضحى يقرأ في كل مكان ، يقرأ في البيت ، في المدرسة ، في الحديقة و حتى على الهاتف و للحاسوب ، و كل ما كان يقرأه يعزه و يحبه . حيث أنهى سلاسل رويات " الشفق " و عشقها . و قرأ كل كا جاد به قلم " أرثر كونان دويل " عن " شارلوك هولمز " و كل ما ابدعته " أغاثا كريستي" في رواياتها البوليسية ، ثم انتقل الى كتب الفلسفة و أنهى مجلدات ضخمة فيها . و بصفة عامة لم يدع مجالا إلا و قرأ عنه . و قبل أن يلاحظ ذلك فقد زالت خيالاته الخصبة التي دائما ما تجلى فيها الرجل صاحب معطف الفرو الرمادي و القبعة البيضاء الصغيرة ، و لم يلحظ أيضا غياب الفأر منذ أيام . بل لم يلحظ أنه و في أحد الأيام الحماسية قام بتنظيف غرفته كلها لوحده و رتب ملابسه بعد غسلها ، ثم أحضر خشبا و مسامير صنع بها رفوفا أربعة صفف فيها كتبه ، التي كان لكل واحد منها مصدر ، فيا إما يشتريها و هذا الغالب أو يستعيرها من المكتبات ، و لكنه خص أحد الكتب بعناية خاصة ، فقد كان هدية ووضعه في منتصف كتبه التي كانت عشقه الأدبي ، كان الكتاب نسخة أصلية من رواية غير مكتملة لكاتب مجهول تحمل عنوان " حجارة برلين " و حصل عليها من تلك الفتاة المتغطرسة التي ذكرها في إحدى قصصه للفأر " باولو " . و إن من المدهش كيف تحولت كراهيتها نحوه إلى اعجاب و صداقة قريبة . فالفتاة في بادئ الأمر لم تستغه ، في منظره و شكله القبيح فقط ، بل بسبب لسانه السليط و كلامه المباشر . هي التي اعتادت على الخلو بنفسها إلى أحد الاشجار الأجمة على جوانب الابواب الداخلة للكلية ، مكان معشوشب برائحة تفتح الشهية على الحياة ، صدمت أشد الصدمة و هي تجد الفتى العفن و الغير مرغوب فيه يجلس إلى شجرتها النقية المقدسو ، التي صارت ملوثة الأن في نظرها ، راقبت و هي واقفة كيف لهذا الفتى العفن أن يقرأ بإهتمام و تفاعل جميل مع الكتاب بين يديه ؟ . ثم غادرت متقلقة من إستيلاءه على مكانها .. و عادت في اليوم التالي سعيدة ، لأنه لن يكون هناك أي

عفن يخرب عليها وقت مطالعتها ، غير أنها لم تلبث أن صدمت في تواجده مرة أخرى ، فإنفعلت و توجهت نحوه هائجة كليا " ما بالك ايها الغريب ؟ أتحاول إغاضتي ؟ لك ذلك . لقد فزت أنا غاااضبة جدا .. فهل تتفضل و تترك لي مساحتي الخاصة ؟ " .. كان الكلام الغير مفهوم كثيرا ، و لم يفهم الفتى الشاب شيئا فقال مستغربا " ما بك أيتها المجنونة ؟ هل حان موعد دورتك الشهرية ؟ " .. وقعت كلماته كدلو من الماء البارد على الفتاة ، و لم تفهم من أين له بالوقاحة أي يكلمها في أمر بغاية الحساسية ، فانتابها ضحك هستيري . و لما رأى صديقنا ما يحدث مع هذه الفتاة المجنونة قرر حزم حقيبته و المغادرة ، و هكذا في كل يوم كان يأتي ليقرأ قليلا فتجيئه الفتاة المجنونة و يرحل . حتى قرر عدم الرحيل في إحدى المرات و أفسح لها مكانا في جنبه ، في أول الأمر غادرت الفتاة، و حتى في المرة التالية أيضاً غادرت . لكنها في اليوم التالي جلست الى جانبه و كانت علامات الاستسلام واضحة عليها ، فلن يسعها إلا أن تقتسم جنتها مع غريب الأطوار هذا . و ظلا على تلك الحال أسبوعا كاملاً ، يقرآن دون أن يحدث أحدها الأخر . غير أن الفتاة كانت تلحظ التغيير السريع الذي يحدث للفتى . في جسمه و بشرته ، في قوامه و ملابسه و حتى في نوعية الكتب التي يقرأها ، حيت أمسى من كتب الخيال العلمي السادجة في نظرها إلى كتب الفكر و الأدب و النقد ، و لم تفخي إعجابها بما يقع من تطور فيه ، فصارت تحضر معها طعاما يكفي لشخصين و تترك به نصيبا ، و لم يعجز الفتى عن فهم الرسالة رغم أنه لم يحدثها ، و أخد في كل مرة يأكل بامتنان و شكر داخلي كل ما تجلبه الفتاة. و كل هذا الصمت كان يحتاج فقط طرقة ليتكسر و هو ما فعله ، حيث حدتها عن أن الطعام الذي تحضره من ألذ ما تذوقه في حياته ، فأجابت بسعادة و فخر " طبعا إنه من يدي أمي الحبيبة . أعظم من طبخ في الكون " و هنا ضحك الفتى ضحكة عفوية جميلة و أدرك من خلالها طبيعة هاته الفتاة الماثلة أمامه . فتطورت صداقتها . و صارا يتحدثان طويلا تحت الشجرة . و تبادلا الكثير من الكتب . و في يوم ميلاده اهدته تلك الرواية .. " الغير مكتملة التي تحمل عنوان " حجارة برلين

و في ذلك الحين كان الفتى الشاب قد تغيرا جذريا ، فلم يعد للكسل مكان عنده ، و تحول خجله إلى هدوء و وقار ، كان عازما على تطوير مهاراته الإجتماعية ، و تغيرت نبرته . كان أسعد الاشخاص بهذا التحول الدرامي هي والدته الخياطة ، التي عاينت تحوله من كسول نائم إلى نشيط مشرق ، و كيف هب النسيم إلى محياه و توردت وجنتاه بالنظارة والشباب . و في خضم كل هذا . جلس إلى مكتبه على الكرسي الجديد بعد أن تخلص من الكرسي المعوق ، و بدأ يتابع و يتصفح ، ثم مد يده إلى جانب المكتب يحاول أن يلعب مع صديقه الفأر الصغير " باولو " كما تعود منذ زمان ، لكنه لم يكن هناك . فتحضجت مقلاتا عينيه و توقف الزمن بالنسبة إليه

، لقد نسي تفصيلا مهما ، شغلته تغييراته المثيرة عن إدراك شيئ غاية في الأهمية . أين هو صديقه الفأر الصغير" باولو " ؟ أين " باولو " ؟ . أين " باولو " ؟ . إنه لمنظر سينمائي مرعب لفتى في حالة. مضطربة يبحث في كل مكان عن شيئ لن يجده أبدا .. و كان الوقت عصرا و الجو مشؤوم بالحرارة ، تعب الفتى من البحث . إغرورقت عيناه بالدموع و هو يردد عبارة " لقد رحل " باولو " الفأر الصغير " . ذرف الدموع و غازل مخيلته صديقه صاحب معطف الفرو الرمادي و القبعة البيضاء الصغيرة ، يودعه قائلا أنه أدى مهمته و عليه الأن أن يكمل المسير بنفسه ، فهو أصبح قادرا على محاربة الحياة و البشر بمفرده . و بكى الفتى الشاب كثيرا و خلف باب غرفته كانت والدته الخياطة تبكي في صمت و في يدها " سم للتخلص من الفئران " ، و زوجها الحاج يراضيها و يواسيها ، قائلا أنه كان القرار الأفضل ..

. أيانو كوجي